OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

القضايا النحوية المتعلقة بالحروف بنوعيها(العاملة وغيرالعاملة)
(في ضوءالقراءات القرآنية في التفسير المظهري)

Syntax Matters related to *"Letters"* (Functional and non–functional)
In the light of Quranic Recitations in Al–Tafseer *"Al–Mazhari"*

❁ فرحت بي بي
باحثة بمرحلة الدكتوراه في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، باكستان.
❁❁ د.الحافظ محمد بشير
عميد كلية اللغة العربية–سابقا– بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد، باكستان.

Abstract
The blessings of Allah on His slaves do not cease and one of them is to send a Messenger from among them to recite the verses in their own language. It is facilitated for the slaves to allow the Readings (recitations) of Quran in multiple accents.
This research is a discussion about recitations of Holy Quran (قراءات) in the Tafseer "Al-Mazhari" as well as will discuss the method of "Al-Qazi Sanaullah Al-Pani Patti" towards the dealing of "Letters" (حروف المعاني) in different recitations.
The author is well known among the scholars of Sub-Continent. The research will discuss the point of view of author among other scholars in dealing the "Letters".
AL-Pani Patti discussed the "Letters" إن"، "أن"، "حتّى"، "لا"، "لكن"، ("اللام"،"لمـا") in his Tafseer in different recitations. So the research is included definitions of these "Letters" and the impact of these "Letters" on Quranic recitations as well as discuss the impact on the structure of sentence.

Keywords:

مقدمة:

الحمدلله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وعلم بالقلم.علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين خاتم النبيين المنزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيء فإن نعم الله على عباده لا تنقضي، ومن أجلها إرسال رسول منهم يتلو عليهم آياته بلسانهم، ومن تيسيره–سبحانه–على عباده أنه أنزل القرآن على أحرف متعدده ، مراعاة لأحوال الناس وقد أسهم العلماء في مجال علم القراءات واهتموا به اهتماما بالغا.

هذا المقال يشتمل على القضايا النحوية المتعلقة بالحروف وما يتأثر بها القراءات القرآنية الواردة في التفسير المظهري، وموقف القاضي ثناء الله الباني بتي تجاه القراءات موقفا نحويا،كما يضم توضيح الحروف الواردة في التفسير فيبدأ المقال بتعريف الحرف وتقسيمه إلى العامل والمهمل.

"الحرف" لغة:

"(الْحَرْف) من كل شَيْء طرفه وجانبه وَيُقَال "فلَان على حرف من أمره" نَاحيَة مِنْهُ إِذا رأى شَيْئا لَا يُعجبهُ عدل عَنهُ".[1]

واصطلاحا:

وصف الخليل بن أحمد الفراهيدي الحرف:

"الحَرْف من حُروف الهِجاء. وكلُّ كلمةٍ بُنِيَتْ أداةً عاريةً في الكلام لتفرقة المعاني تُسمَّى حَرْفاً، وإنْ كانَ بناؤها بحَرْفَيْن أو أكثر مثلُ حَتّى وهَلْ وَبلْ ولَعَلَّ".[2]

فمن هذا التعريف يُتبيَّن أن الحروف تنقسم إلى الحروف المباني والمعاني، أما حروف المباني[3]، فهي حروف الهجاء-الهمزة والباء والتاء .....إلخ-، ويطلق هذا الاسم على حروف الهجاء لدورها في بنية الكلمة وتركيبها. والتي تتألف منها كلمة ما.[4]

أماحروف المعاني[5] سميت بهذا الاسم لدورها في إيصال معاني الأفعال إلى الأسماء أو لدلالتها على معنى كالإلصاق للباء والاستعلاء لـ"على".

قيل عن هذا القسم من الحروف: "كلُّ كلمةٍ لا تدلُّ على معنى في نفسِها، لكن في غيرها". وعرّف ابن جنى "الحرف" بعد تعريف الاسم والفعل في اللمع بقوله:

"والحرف ما لم تحسن فيه علامة من علامات الأسماء ولا علامات الأفعال وإنما جاء لمعنى في غيره نحو هلْ وبلْ وقد لا تقول "مِنْ هَلْ" ولا "قد هل" ولا تأمر به".[6] ويلاحظ أن بعض ما أطلق عليها لفظ الـ"حرف" الأسماء نحو: (كل ومتى وإذا...إلخ) لكن النحاة ذكروها في "حروف المعاني" بطريق التغليب. وأطلق المحدثون على"حروف المعاني" تسمية الـ"أداة" لاتساعها في المعني.

الحروف بين الإعمال والإهمال:

قال المرادي عن الحروف العاملة:

" أن الحرف قسمان:

1- **عامل**: فالعامل هو ما أثر فيما دخل عليه رفعاً، أو نصباً، أو جراً، أو جزماً.

2- **غير عامل**: وغير العامل بخلافه، ويسمى المهمل."

وبعد تفصيل العوامل نبّه "أن الحرف يعمل أنواع الإعراب الأربعة. ولكن عمله الجر والجزم بطريق الأصالة، وعمله الرفع والنصب لشبهه بما يعملهما. والله أعلم"[7].

وكل حرف من حروف المعاني ذات دلالات خاصة يحددها الاستعمال اللغوي أو السياق لذلك قالوا في حد الحرف "كلُّ كلمةٍ لا تدلُ على معنى في نفسِها، لكن في غيرها". فنلاحظ مثلا أن الحرف "لا" تفيد النهي فتجزم المضارع، وتفيد النفي فتدخل على الأسماء والأفعال، وتارة تدخل على الأسماء فتعمل عمل ليس، أو عمل "لا النافية للجنس" وقد تأتي للتوكيد. وهكذا بقية الحروف تتغير دلالتها بتغيير الاستخدام، فقد تستخدم بدون أي تغيير في المبنى كـ"أنْ" المصدرية ومخففة من الثقيلة، وقد تستخدم بتغيير بسيط كـ"التخفيف والتشديد"في بعض الحروف نحو:"إنّ" و"لكنّ"، وأحيانا قد يحدث التغيير في الحركة، كحركة "أنْ" الناصبة و"إنْ" الشرطية، أو حركة همزة "إنّ" و"أنّ". وهذه الحروف قد تتبادل فيما بينها في القراءات القرآنية وتدل على معان مختلفة في إطار السياق النص القرآني وهذه المعاني المنبثقة تدفع القارئ الاستبصار في قوله تعالى:"**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**"[8]

أورد الباني بتي في تفسيره القراءات مشتملة على تلك الحروف وجاء بالتوجيهات النحوية وبيّن كيفية تحول دلالة الحرف إلى دلالة أخرى، ووضح أنها كيف تؤدي وظيفتها النحوية الخاصة بها، وتلعب دورا في تحقيق الأغراض والمعاني المشتتة.

أما الحروف الواردة في التفسير المظهري في القراءات هي: "إن" و"أن" الثقيلتان والخفيفتان و"حتّى" و "لا" و"لكن" الثقيلة والخفيفة، و"اللام" و"لما".

أولا: حرفا "أن" و"إن" الخفيفتان:

(أ). **"أَنْ"**: هذه الحرف ليست من باب واحد، بل ذات دلالات متعددة ومختلفة حسب موضعها في الكلام حتي ذكر الهروي لها سبعة معان في "الأزهية" وهي:

1- أن المصدرية: تدخل على الماضي والمستقبل، فتكون هي والفعل (اسما) بمعنى المصدر، وتنصب الفعل المستقبل، نحو: أريد أن تقومَ، وأعجبني أن خرجْتَ، أي أريد قيامك، وأعجبني خروجك .

قال المرادي : "وتعمل ظاهرة ومضمرة، ..... ونص سيبويه، وغيره، على وصلها بالأمر. واستدلوا، على أنها مع الأمر مصدرية، بدخول حرف الجر عليها..... وذهب ابن طاهر إلى أن الناصبة للمضارع قسم، غير الداخلة على الماضي والأمر. وليس بصحيح".9

2-مخففة من الثقيلة: ويليها الاسم أو الفعل الماضي والمستقبل. وإذا وليها الاسم ففيها الوجهان:

1- العاملة عمل إنّ وتنصب الاسم نحو: علمت أنْ زيدا قائم

2- المهملة نحو: علمت أنْ زيد منطلق. واسمها يُضمر- ضمير الشأن - والجملة الاسمية بعدها خبرها، أي (علمت أنه زيد منطلق). وهذا الوجه أجود عند الهروي.

والفرق بين أن الناصبة والمخففة من الثقيلة أن العامل إن كان فعل عَلِمَ فهي مخففة، وإن كان فعل ظنّ جاز الأمران، نحو " وحسبوا أن لا تكون فتنة ". فمن جعلها الأولى نصب. ومن جعلها الثانية رفع. وإن كان غير ذلك فهي الناصبة للفعل، نحو " والذي أطمع أن يغفر لي "، ونحو " وأن تصوموا خير لكم ". وإذا وليها

مضارع مرفوع، وليس قبلها علم أو ظن كقراءة بعضهم " لمن أراد أن يتم الرضاعة"، فمذهب البصريين أنها أن المصدرية، أهملت حملاً على ما أختها. ومذهب الكوفيين أنها المخففة. [10]

وإذا وليها الفعل يكون مفصولا بـــ قد، نحو: " **وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا** "[11]، أو حرف تنفيس، نحو: " **عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى**"[12]، أو حرف نفي، نحو: " **عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ** "[13]، أو لو، نحو: "**تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا**"[14]ما لم يكن الفعل غير متصرف أو دعاء، فلا يحتاج إلى فاصل، نحو: "**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** "[15]، ونحو: " **وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا** "[16].

3- زائدة –تفيد التوكيد– تأتي بعد "لـمّا" التوقيتية نحو: " **فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ** "[17] أو بين"لو" الشرطية وفعلها نحو: والله أن لو فعلت كذا وكذا لكان خيرا لك.

4- أنْ التفسيرية. نحو: دعوت الناس أن أرجعوا، بمعنى دعوت الناس أي أرجعوا.ـــ مذهب البصريين أن المفسرة قسم. ونقل عن الكوفيين أنها عندهم المصدرية.ـــ [18]

5-بمعنى "لئلا" نحو قوله تعالى: "**يبين الله لكم أن تضلُّوا**"[19] معناه أنْ لا تضلوا.6

6- بمعنى "إذ" و"لأن" و"من أجل". كقوله تعالى: "**وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ**"[20] ،أي إذ جاءهم.وبمعنى "من أجل" نحو قوله تعالى: "**وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا**"[21] ، أي من أجل أن يكبروا. وبمعنى "لأن" كما قال الله تعالى: "**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**"[22].

7-بمعنى "لا". مثل قوله تعالى: "**قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ**"[23]. نقل الهروي عن أبي إسحاق الزجاج أن معناه "لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. [24]

وقال صاحب معجم معاني الحروف ويجوز أن تدخل اللام على"أن ألمصدرية"[25].وهو ذكر أربعة معان الأولى لـ"أنْ". أما بقية المواضع ضمها في "أن" المصدرية. والهروي ذكر في القسم السادس ثلاثة معان لـ"أنْ" – إذ ولأن ومن أجل – أما المرادي اعتبرها معان منفردة عن غيرها وجعل قسما عاشرا لـ"أنْ" تجزم فعلا وقال:

" ذهب إلى ذلك بعض الكوفيين، وأبو عبيدة، واللحياني. وحكى اللحياني أنها لغة بني صباح، من بني ضبة."[26]

(ب). "إنْ":

قال الشريف محمد حسن: "**إنْ**" ليست من باب واحد في لغة العرب، ولا علاقة تذكر بين أقسامها المختلفة، باستثناء الشكل الإملائي...والفصل واضح تمام الوضوح بين هذه الأقسام لـ"**إنْ**"، فلا تداخل بينها بعكس "**أنْ**" التي رأينا بين أقسامها تداخلا واضحا".[27]

وذكر في معجمه ثلاثة معان لـ"**إنْ**" – 1-الشرطية الجازمة. 2-والنافية. 3-والمخففة من الثقيلة -.

والهروي جاء بستة مواضع لـ"**إنْ**". وهي:

1-أن تكون جزاء مثل: إنْ تأتِني آتِك.

2-تكون نفيا بمعنى "ما" نحو: إنْ زيد قائم. جوّز الكسائي والمبرد إعمالها عمل "ليس" كتعمل "ما" الحجازية نحو: إنْ زيدٌ قائماً. وأنكر سيبويه والفراء إعمالها._ ولعملها شرطان:

الأول: أن لا يتقدم خبرها عن اسمها.

والثاني: أن لا ينقض نفيها بإلا_.[28]

3-تكون مخففة من الثقيلة ولها ضربان:

العاملة: فتعمل عمل "إنّ" نحو: إنْ زيداً قائمٌ.

والمهملة: يجوز أن يقع بعدها الاسم أو الفعل نحو: إنْ زيدٌ لمنطلقٌ، وإنْ قامَ لَزيدٌ. وفي حالة الإهمال تلزمها لام الابتداء للتفريق بينها وبين إن النافية. هذا مذهب البصريين أما الكوفيون يقدرون **"ما"** النافية، واللام الداخلة على الخبر بمعنى "إلا" نحو: ما قام إلا زيد.

4-الزائدة: وتأتي مع "ما" النافية لتوكيد الجحد ففي لغة تميم تكون لغوا وتوكيدا وفي لغة الحجاز كافة لـ"ما" عن عملها نحو: ما إنْ زيد قائم. وقد تأتي مع "ما" التي بمعنى "حين".

5-تكون **"إنْ"** بمعنى "إذ" نحو: **"فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"**.[29] أي إذ كنتم مؤمنين.

6-**"إنْ"** تكون بمعنى "إما".[30]

ونقل المرادي عن الكسائي أن **"إنْ"** تأتي بمعنى "قد". ثم رفض حجته وقال هذا ليس بصحيح.[31]

نموذج "أنْ" و"إنْ" الواردة في التفسير المظهري:

"وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ" [32]

يقول البابي بتي:

" **تَكُونَ**" قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالرفع على أنْ هي المخففة من الثقيلة والحسبان نزل منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم تقديره: "أنه لا تكون"، وأن بما في حيزها سد مسد مفعوليه. والباقون بالنصب على أنه مصدرية و"كان" تامة فاعله **"فِتْنَةٌ"** أى لا تصيبهم عذاب وبلاء بقتل الأنبياء وتكذيبهم."33

وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن:

"فـ **"تكون"** مرفوعة على ضمير الهاء، كأنه قال: "أنه لا تكون فتنة"، ومن نصب **"تكون"** فعلى إعمال **"أنْ"** فيها ولا تمنع **"لا"** النصب أن يعمل فى الفعل".[34]

وذكر الطبري أن الفعل **"حسب"** بمنى الـ**"ظنّ"**[35] وكذا البغوي حيث يقول في تفسيره:

"وحسبوا" ظنوا **"ألا تكون فتنة"** أي: عذاب وقتل، وقيل: ابتلاء واختبار، أي: ظنوا أن لا يبتلوا ولا يعذبهم الله، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي **"تكون"** برفع النون على معنى أنها لا تكون، ونصبها الآخرون كما لو لم يكن قبله **"لا"**."[36]

فوجّه البغوي القراءة بالرفع لكن يبدو من كلامه أنه اختار قراءة النصب حيث ذكر المعنى المراد منها أي "الظنّ" أما المعنى المنشئ من قراءة الرفع فما اهتم به.

ومن المفسرين مال الراغب الأصفهاني إلى ترجيح قراءة الرفع وهو وضح المعنى لكلتي القرائتين:

" فالرفع على تقدير "أنه لا تكونُ فتنة" وذلك أبلغ في ذمهم، وقد تقدم أن الظن والحسبان يستعملان تارة فيما قوى في النفس وتارة لما ضعف، ومن ذكر بعدهما إن المشددة والمخففة منهما فقصد إلى تقوية الاعتقاد ومن ذكر بعدهما أن الناصبة للفعل فلضعف الاعتقاد".[37]

خلاصة القول:

الأمر الملاحظ في الآية أن الفعل "تَكُونَ" قرئ بقرائتين فقرأه جمهور القراء بالنصب وقرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي بالرفع، وينشأ هذا الاختلاف من أغراض "أنْ" المختلفة المتداخلة بعضها ببعض.

فوجّه الباني بتي القرائتين بإعمال "أنْ" وإهمالها وفسر "أنْ" مخففة من الثقيلة في قراءة الرفع بتقدير "أنه لا تكونُ فتنة" بحذف اسم "أن" حيث يجب إهمالها إذا تقدمها فعل يدل على الثبوت والاستقرار لذا قال "الحسبان نزل منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم". ويبدو من قوله أنّ قراءة الرفع أجود عنده كما نقل القرطبي قول النحاس: "والرفع عند النحويين في "حسب" وأخواتها أجود.... لان "حسب" وأخواتها بمنزلة العلم لأنه شي ثابت هذا الوجه أجود عند النحويين.[38] وبإعمال "أنْ" عدّها مصدرية تنصب المضارع وتخلصه للاستقبال وحينئذ "الحسبان" بمعنى الظنّ يعنى هذا ظنّ هؤلاء الكفار أن لا يصيبهم العذاب بأفعالهم القبيحة.

ثانيا: إنَّ بكسر الهمزة وفتحها:

"إنَّ"و"أنَّ" من الحروف المشبة بالفعل اللذان يدخلان على الجملة الاسمية فينصبان المبتدأ ويرفعان الخبر، وصرّح ابن هشام الغرض من هذين الحرفين في اتيان الكلام بقوله:

"وهما لتوكيد النسبة ونفي الشك عنها، والإنكار لها".[39]

ولهمزة **"إنّ"** ثلاث أحوال: وجوب الكسر، ووجوب الفتح، وجواز الأمرين. يقول ابن حاجب:

"فإنَّ، لا تغير معنى الجملة، وأَنَّ مع صلتها في حكم المفرد، ومن ثم وجب الكسر في موضع الجمل، والفتح في موضع المفرد.....فإن جاز التقديران ، جاز الأمران".[40]

وقال ابن هشام:

"تتعين "إنّ" المكسورة حيث لا يجوز أن يسد المصدر مسدها ومسد معموليها، و"أنّ" المفتوحة حيث يجب ذلك ويجوزان إن صح الاعتباران".[41]

وقد ذكر ابن هشام تسعة مواضع يجوز فيها كسر همزة "إنّ" وفتحها.[42] ويلاحظ أن بعض القراء قرؤوا بكسر همزة "إنَّ" وبعضهم قرؤوا بفتحها إذا جاز الأمران. والآيات التي قرئت بوجهين وأورده الباني بتي في تفسيره مع ذكر القراءات والتوجيهات منها :

"فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ" [43]

يقول الباني بتي:

"قرأ الكوفيون ويعقوب **"أَنَّا"** بفتح الهمزة على أنه خبر مبتدا محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال أو التقدير "لانّا دمّرناهم" والباقون بكسر الهمزة على الاستيناف وعلى هذا إن كان **"كان"** ناقصة فخبرها **"كيف"**، وإن **"كان"** تامة فـ**"كيف"** حال ولا يجوز أن يكون "إنّا دمّرناهم" خبر كان لعدم العائد".[44]

ويقول الطبري من المفسرين:

واختلفت القرّاء في قراءة قوله **"إِنَّا"** فقرأ بكسرها عامة قرّاء الحجاز والبصرة على الابتداء، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: **"أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ"** بفتح الألف. وإذا فُتحت كان في **"أَنَّا"** وجهان من الإعراب: أحدهما الرفع على ردّها على العاقبة على الاتباع لها، والآخر النصب على الرد على موضع **"كيف"**، لأنها في موضع نصب إن شئت، وإن شئت على تكرير كان عليها على وجه، "فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان عاقبة مكرهم تدميرنا إياهم".[45]

كما ذكر مكي خمسة أوجه من وجوه الإعراب ويقول:

"ومن فتح **"أَنَّا"** ففيه خمسة أوجه:

الأول: أن يقدر اللام معها ثم يحذفها فتكون **"أنَّ"** في موضع نصب على حذف حرف الجر منها.

الثاني: أن تكون **"أنَّ"** في موضع رفع بدل من **"عاقبة"**، و**"كيف"** خبر كان في الوجهين.

الثالث: أن تكون في موضع نصب على خبر كان: أي كيف كان عاقبة مكرهم، تدميرهم، وتكون **"كيف"** ظرفاً عمل فيه جملة الكلام بعده، كما تقول: اليوم كان زيد منطلقاً.

الرابع: أن تكون **"أن"** في موضع رفع على إضمار مبتدأ للعاقبة والتقدير للعاقبة والتقدير هي: "إنا دمرناهم".

الخامس: ذكره الفراء: أن يجعل بدلاً من **"كيف"**، وهذا الوجه بعيد.

فأما من كسر **"إنّا"** فإنه يجعل **"كيف"** : خبر كان و **"عاقبة"** اسم كان / ثم يستأنف فيكسر".[46]

خلاصة القول:

وفق النص المقتبس من قاضي الباني بتي هناك قراءتان لجملة **"أنا دمرناهم"** وهما بنصب الهمزة في كلمة **"أنّا"** عند الكوفيين ويعقوب، وبكسرها عند ابن عامر، وأبوعمرو، وابن كثير، ونافع، وأبوجعفر، وروح، وزيد، ويعقوب[47]، فيبدو من كلام القاضي ثناء الله أن القراء تناولوا الآية بكاملها لتوجيه الإعراب، واعتمدوا على إعراب الجملة دون إعراب كلمة واحدة، وبالتالي فبعض توجيهات الإعراب استمدتها من التفاسير المختلفة.

توجيهات القراءة بنصب الهمزة :

- أنّه خبر مبتدأ محذوف تقديره هي.
- بدل من اسم كان.
- خبر كان.
- حذف الجار (أن يقدّر اللام معها).
- أن يجعل أنّ بدلاً من كيف (وهذا وجه بعيد).

توجيهات القراءة بكسر الهمزة:

- جملة استئنافية لا محلّ لها من الإعراب.

فاكتفى قاضي باني بتي على ذكر جماعة من القراء الّذين قرءوا بفتح الهمزة، أما بالكسر فجاء فقط بكلمة الباقون لكثرة عددها، ولأنّ هذا أمر معروف لدى المفسّرين والقرّاء فهذا يشير إلى إيجازه في ذكر المعلومات، أما في توجيه الإعراب فيذكر ما يجوز وما لا يجوز عند النحويين مع ذكر سببه، بدون ترجيح القراءة على الأخرى كما يقول أبو جعفر: "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنّهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار متقاربتا المعنى فأيتهما قرأ القارئ فمصيب"[48] وبعض المفسّرين يبدوا أنهم يمشون مع قراءة النصب كما يلاحظ من قول أبي حاتم ذكره ابن النحاس: "وفي حرف أبي **"أن دمرناهم"** تصديقاً لفتحها"[49]. والله أعلم .

وهناك آيات أخرى قرئت بفتح همزة إنَّ وبكسرها ذكرها الباني بتي في تفسيره مع التوجيهات الإعرابية.

ثالثا: حتّى:

الحرف "حتّى" تستعمل في النحو العربي للأغراض الإعرابية المتعددة. وحسب اختلاف المدارس النحوية تأتي على أربعة أوجه:

1- حتى الجارة: للاسم أو المصدر (وهذا الاسم يكون صريحا كما يكون مصدرا مؤولا من أن والمضارع عند البصريين. أما الكوفيون يعدونها الناصبة للمضارع).
2- حتى الناصبة: للفعل المضارع (يرى البصريون أنها جارة والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة).
3- حتى العاطفة: قال المرادي عنها:" فهذه حرف عطف، تشرك في الإعراب والحكم نحو: قدم الحجاجُ حتى المشاةُ، ورأيت الحجاجَ حتى المشاةَ، ومررت بالحجاجِ حتى المشاةِ. وقد روى سيبويه، وغيره من أئمة البصريين، والعطف بها. وخالف الكوفيون، فقالوا: حتى ليست بعاطفة. ويعربون ما بعدها، على إضمار عامل."[50]
4- حتى الابتدائية: غير عاملة. وليس المراد بالابتداء أنها تدخل على الجملة الاسمية مكونة من مبتداء وخبر، بل يراد منها الاستئنافية تدخل على الجملة الاسمية والفعلية.[51]

و"حتى" في جميع هذه الأوجه تفيد معنى الغاية إما مباشرة أو من خلال السياق.[52]

جاء الباني بتي بآية تشمل "حتى" وقرئ الفعل بعدها بقرائتين لاختلاف دلالة "حتى" والآية هي:

"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ"[53]

يقول الباني بتي:

"إذا كان بعد حتى مستقبلا بمعنى الماضي يجوز فيه النصب والرفع فقرأ نافع بالرفع والباقون بالنصب."[54]

وكذا قال البغوي في تفسيره:

"قرأ نافع حتى يقول الرسول بالرفع، معناه: حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، فلك فيه وجهان:

الرفع والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام لأن حتى تنصب الفعل المستقبل، والرفع معناه الماضي، وحتى لا تعمل في الماضي".[55]- "وزاد ابن مالك، في أقسام مجرورها، أن يكون مصدراً مؤولا من أن وفعل ماض، نحو "حتى عفوا وقالوا"[56]. قال الشيخ أبو حيان: ووهم في هذا، لأن حتى ههنا ابتدائية، وأن غير مضمرة بعدها."[57]

أعرب العكبري الآية بقرائتين بقوله:

"حتى يقول الرسول" : يقرأ بالنصب، والتقدير: إلى أن يقول الرسول فهو غاية، والفعل هنا مستقبل حكيت به حالهم، والمعنى على المضي، والتقدير: إلى أن قال الرسول. ويقرأ بالرفع على أن يكون التقدير: وزلزلوا فقال الرسول، فالزلزلة سبب القول، وكلا الفعلين ماض فلم تعمل فيه حتى."[58]

فمن ظاهر كلام العكبري-" وزلزلوا فقال الرسول" – يفهم البعض[59] أن المراد بـ"الفاء" هنا التعليل لكنه بيّن بعد ذلك – فالزلزلة سبب القول- فلا يستخرج هذا المعنى إلا إذا اعتُبر "حتى" ابتدائية كما بيّن ابن عطية تقدير "حتى" العاملة وغير العاملة وقال:

"... فـ"حَتَّى" غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير إلى أن، وعلى قراءة نافع كأنها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل."[60]

خلاصة القول:

يستخرج من كلام الباني بتي والمفسرين أنّ فعل "يقول" قرئ بطريقتين مختلفتين، فقرأه عامة القراء بالنصب، وقرأ نافع بالرفع، والاختلاف يرجع إلى إعمال "حتّى" وإهمالها. فمن حيث العمل لها وجهان عند المفسرين والمعربين:

1- حتى الجارة:[61] في قراءة النصب الفعل منصوب بـ"أنْ" مضمرة وجوبا، بتأويل المصدر وتقدير الكلام(حتى إلى أن يقول الرسول) والفعل هنا مستقبل لحكاية الماضي. وفائدة الحكاية كما قال ابن عجيبة: "فرض ما كان واقعاً في الزمان الماضي واقعاً في هذا الزمان، تصوّراً لتلك الحال العجيبة، واستحضاراً لصورتها في مشاهدة السامع".[62]

2- حتى الجارة بمعنى(كي التعليلية): هذا الوجه ذكره الخطيب، عبد اللطيف وقال:

"بالنصب إما على الغاية، وإما على التعليل،أي: وزلزلوا كي يقول الرسول".[63]

وهذا الوجه ضعيف لأن قول الرسول ليس علة لزلزال. وما ذُكر في معنى التسبيب ففي قراءة الرفع، وفي قراءة نافع تعّد "حتى" مهملة ابتدائية، تدخل على فعل الحال بمعنى الماضي. بتقدير"وزلزلو فقال الرسول". ويجوز هنا بتقدير الفاء –السببية- لأن الزلزال سبب في قول الرسول كما صرح ابن عجيبة:

" وإنما وجب رفعه عند إرادة الحال لأن نصبه يؤدي إلى تقدير (أن) ، وهي للاستقبال، والحال يُنافيه، ويصح في موضع "حتى" الداخلة على الحال الفاء السببية."[64]

يلاحظ من هذا التحليل للقرائتين أن الباني بتي ركّز على المعنى واختار في الإعراب الأوجه الموثوقة وأعرض عن الإتيان بالأوجه الضعيفة التي تفسد المعنى.

رابعا: اللام:

حرف متعددة الوظائف النحوية المختلفة بسبب تباين العناصر اللغوية التي تدخل عليها وبهذا تستحق أن تتداول بين أيدي النحاة الذين كتبوا كتابات عنها لكثرة وظائفها النحوية مثل كتاب اللامات للزجاجي، فهو ذكر في كتابه إحدى وثلاثون أقساما لـ اللام المفردة العاملة والمهملة.[65] وتتناولها كتب النحو في الأبواب النحوية المختلفة بين دفتيها بزيادة أونقصان في هذه الأقسام، أو بتغيير مصطلح، فجاء الباني بتي في تفسيره القراءات بتبادل اللامات الدالة على الأغراض النحوية المختلفة، فاللامات المتبادلة بعضها ببعض في تفسيره هي:

1- لام التعليل: هذه اللام تسمى "لام كي"[66]_ وقد تسمى لام "العاقبة أو الصيرورة" حسب دلالتها في السياق_ تدخل على الإثبات وينصب المضارع بعدها بـ"أنْ" مضمرة جوازا. فممكن القول(جئتُ لأكرمك وجئتُ لأنْ أكرمك)، وأن وما بعدها في المظهر والمضمر في تأويل المصدر مجرور محلا بلام التعليل.[67]_ هذا مذهب البصريين وعند الكوفيين اللام بنفسها تنصب الفعل_.[68]

2- لام الجُحود: هذه النوع سماها سيبويه لام النفي لاختصاصها به[69].لأنها تؤكد النفي. نحو: **"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ"**[70] وهي تختلف عن "لام كي" من وجهين:

الأولى: أن تسبقها نفي. **والثانية**: لا يجوز إظهار "أنْ" بعدها.

وتتفق في اثنتان:

الأولى: في دخولها على المضارع والمضارع ينصب بإضمار "أنْ" بعدها. **والثانية**: أنْ والفعل في تأويل المصدر بعدها في محل الجر.[71]

3- اللام الفارقة[72]: هي تفيد معنى التوكيد وتأتي تفرقة بين "إنْ" النافية و"إنْ" المخففة من المثقلة المهملة.[73] وتلزم خبر "إنْ" المخففة من المثقلة.نحو: **" وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ."**[74]

4- لام الأمر: هذه اللام تدخل على الفعل المضارع المأمور للغائب، فتجزمه وبذلك تعَدّ من الأدوات الجازمة أو من أدوات الطلب .[75]وقد تدخل على المضارع المخاطب فحينئذ تفيد معنى التوكيد كقوله تعالى:" **فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**"[76] قرئ **"فَلْتَفْرَحُوا"** بصيغة الخطاب.[77]

5- اللام المزحلقة: هي اللام المؤكدة، محلها صدر الجملة، تأتي بعد "إنّ" وسميت مزحلقة لأنهم زحلقوها عن صدر الجملة كراهية أن يبدأ الكلام بمؤكدَين. مثاله قوله تعالى: "**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**."[78]

نموذج من القراءات الواردة في التفسير المظهري المحتملة معنيان أو أكثر بوظائف الـ"لام" العاملة والمهملة :

"**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**" [79]

يقول الباني بتي:

"قرأ الكسائي وابن جريج بفتح اللام للتأكيد فى "**لتزول**" والرفع على أنّ "إنْ" مخففة من الثقيلة واللام هى الفاصلة والمعنى إنه كان مكرهم يعنى شركهم عظيما شديدا بحيث تزول منه الجبال بمعنى قوله تعالى: "**وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً**"[80]..... وقرأ الجمهور بلام مكسورة والنصب فـ"إنْ" حينئذ إما نافية واللام لام جحود لتأكيد النفي كقوله تعالى "**وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ**"-أو مخففة من الثقيلة واللام لام كى وكان تامة- والجبال مَثَلٌ لأمر النبي ﷺ وآيات الله والشرائع- والمعنى على الأول "وما كان مكرهم مزيلا للجبال" وعلى الثاني "أنهم مكروا وثبت مكرهم ليزيلوا ما هو كالجبال الراسيات ثباتا وتمكنا من أمر النبي ﷺ وآيات الله وشرائعه وذلك محال- وقال الحسن إن كان مكرهم لأضعف من أن تزول الجبال."[81]

وفي حجة القراءات قال ابن خالويه:

"قوله تعالى: "**لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**" يقرأ بفتح اللام الأولى ورفع الفعل، وبكسرها ونصب الفعل. فالحجة لمن فتح، أنه جعلها لام التوكيد، فلم تؤثر في الفعل ولم تُزِلْه عن أصل إعرابه. وهذه القراءة توجب زوال الجبال لشدة مكرهم وعظمه -وقد جاء به التفسير- والحجة لمن كسر: أنه جعلها لام كي، وهي في الحقيقة لام الجَحد. و"إنْ" ها هنا بمعنى "ما"..... ومعنى ذلك: "أن مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال".[82]

ومن المفسرين النسفي ذكر الأوجه الثلاثة وأدل بقراءة ابن مسعود لكون إنْ النافية في قراءة النصب:

"بكسر اللام الأولى ونصب الثانية والتقدير :"وإن وقع مكرهم لزوال أمر النبي ﷺ فعبر عن النبي عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة أو إن نافية واللام مؤكدة لها .....ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الأولى ورفع الثانية أي وإن كان مكرهم الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها فـ"إنْ" مخففة من إنّ واللام مؤكدة."[83]

وفسر السمرقندي القرائتين :

"قرأ الكسائي **لِتَزُولَ** بنصب اللام الأُولى، ورفع الثانية. وقرأ الباقون: بكسر اللام الأولى، ونصب الثانية ومعناه: ما كان مكرهم ليزول به أمر دين الإسلام، إذ ثبوته كثبوت الجبال. ومن قرأ **لَيَزُولُ** فمعناه: وإن كان مكرهم يعني: مكر الكفار ليبلغ إلى إزالة الجبال، فإن الله ينصر دينه".[84]

خلاصة القول:

جاء الباني بتي في الآية بقرائتين. فقراءة الجمهور (لِتَزُوْلَ) بكسر اللام والفعل يليها منصوب، أما قراءة

الكسائي (لَتَزُوْلُ) بفتح اللام والفعل بعدها مرفوع، ثم ذكر نوع كل من حرفا "لا" و"إنْ" في هاتين القرائتين، وفائدتهما وعملهما:

ذكر أولا قراءة الكسائي وردتْ فيها اللام المفتوحة للتوكيد وهي لام الفاصلة، وتعَدُّ "إنْ" هنا مخففة من الثقيلة فالكلام مؤكَّد بمؤكدين، فبيّن تقدير الكلام بقوله:" والمعنى إنه كان مكرهم يعنى شركهم عظيما شديدا بحيث تزول منه الجبال" أي مهما كان مكرهم شديدا إلى حد إزالة الجبال، ما يُتحقق مكرهم مع شدته وعظمته لأن الجبال تمثيلا لأمر النبي ﷺ وآيات الله وشرائعه وزواله مستحيل،-فالجملة حال من قوله تعالى: **"وعند الله مكرهم"** أي عنده جزاء مكرهم أو المكر بهم والحال أن مكرهم بحيث تزول منه الجبال أي في غاية الشدة-.[85] وأتى بدليلا لقوله من كلام الله تعالى: **"وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً "**[86]. فيبدو من اهتمامه لقراءة الكسائي أنها مرجوحة لديه.

ثم ذكر قراءة الجمهور **"لَتَزُوْلُ"** بالنصب ووجه القراءة بتوجيهين :

الأولى: اللام مكسورة ناصبة للفعل وعدها لام الجحود لتأكيد النفي و"إنْ" حينئذ نافية والمعنى "ما كان مكرهم مزيلا للجبال"، جاء في التفاسير أن هذا الوجه أجود لوجود قراءة ابن مسعود-ما كان مكرهم- والجملة حال من الضمير في "مكروا".

الثانية: اللام "لام كي" وكان تامة و"إنْ" مخففة من الثقيلة فقدر على هذا الوجه "أنهم مكروا وثبت مكرهم ليزيلوا ما هو كالجبال" ونقل قول الحسن: " أن مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال "، والجملة هنا أيضا حال من ضمير "مكروا".

خامسا: "لا"

هذا الحرف متعدد الأغراض ويلاحظ أنه متداول في كثير من الأبواب النحوية واهتم النحاة به في كتبهم وجعلوا فصولا في استعمال "لا" فذكر الهروي في الأزهية ثلاثة عشر موضعا لـ"لا" يقول:

"إعلم أن"لا" لها ثلاثة عشر موضعا. تكون: نهيا وخبرا وعطفا وتبرئة ودعاءً وجوابا للقسم وردا للجواب وتوكيدا للجحد، وصلة، ويقال زائدة، وبمعنى (لم)، وبمعنى (غير)، وبمعنى (ليس)، ولتغيير الشئ عن حاله، وهي في كل ذلك حرف، إلا إذا كانت بمعنى (غير) فإنها اسم لأن (غيرَ) اسم".[87]

أما المرادي فاندمج كل هذه المواضع إلى ثلاثة أغراض أساسية وقال عنه:

"لا حرف، يكون عاملاً وغير عامل، وأصول أقسامه ثلاثة: **لا النافية، ولا الناهية، ولا الزائدة**".[88]

ويرى محمد حسن الشريف من المحدثين أن الوظيفة الأساسية لـ"لا" هي النفي المطلق أي نفي الحدث وعلل بقوله:

"لأنها تدخل على الجملة وتحول معناها من الإثبات إلى النفي، إلا أنها تتحول إلى النهي الذي يعني طلب عدم القيام بالفعل وهو سعي مسبق إلى نفي وقوعه. ولكن هذا التحول في الدلالة لا بد أن يكون

مصاحبا لتحول في تركيب الجملة. وهكذا يتنوع دخول (لا) في سياق الجملة بحسب تنوع الدلالة، وبحسب تباين العناصر اللغوية التي تدخل عليها".[89]

وإذا ننظر من حيث الإعمال والإهمال فتنقسم "لا"العاملة إلى ثلاثة أقسام:

- "لا النافية للجنس" تعمل عمل "إنّ" وتدخل مثلها على الجملة الاسمية.
- "لا" العاملة عمل "ليس" تدخل ايضا على الجملة الاسمية، وبعضهم يسمونها "الحجازية".
- "لاالناهية"، تجزم المضارع، وتدخل على الجملة الفعلية.

أما الـ"لا" المهملة فتدخل على الجملة الاسمية والفعلية وتنفى وقوع الفعل، وتأتي للتوكيد وللعطف وللدعاء ولتناوب بعض الحروف.

فالنموذج من الآيات الواردة في التفسير المظهري باختلاف القراءات في إعمال "لا" وإهمالها:

"وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"[90]

يقول البابي بتي:

"وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ" كلام برأسه مقرر لما قبله- و"لا" لنفى الجنس- و"أصغر" و"أكبر" اسمها- و"في كتاب" خبرها- قرأ حمزة ويعقوب برفع أصغر وأكبر على الابتداء والخبر بابطال عمل "لا" لاجل التكرير والباقون بالنصب على اعمال لا- وقيل لا ولا زائدتان وأصغر وأكبر معطوفان على مثقال ذرة- أو على ذرة والفتح بدل الكسر لامتناع الصرف- أو للحمل على مثقال ذرة مع الجار- والرفع للعطف على مثقال ذرة حملا على محله البعيد قبل دخول من والاستثناء حينئذ منقطع-".[91]

أدت "لا" في الآية الكريمة غرضين وهما إعمال "لا"عمل "إنّ" وإهمالها للتكرار وتفيد توكيد النفي، وفي كلتا الحالتين تؤدي وظيفتها النحوية إما بشكل "لا النافية للجنس" فتنصب اسمها والخبر مرفوع، وإما بشكل "لا الزائدة أو الصلة" تفيد توكيد النفي.

أما التوجيهات النحوية للجملة التي تدخل عليها "لا" فهي تختلف عند المفسرين، كما أعرب الفراء الآية ويقول:

" فمن نصبهما فإنما يريد الخفض: يُتبعهما المثقال أو الذرة. ومن رفعهما أتبعهما معنى المثقال لأنك لو ألقيت من المثقال "من" كان رفعًا."[92]

يبدو من قوله أنه أعرب الاسم بعد "لا" بإهمالها واعتبر الاسم مجرورا للتبعية لفظ "المثقال" أو "الذرة" على قراءة "أصغرَ وأكبرَ" بالفتح ومُنِع الجر للوزن والوصف. وعلى قراءة "أصغرُ وأكبرُ" اعتبر الاسم مرفوع محلا لأن "المثقال" مرفوع من حيث المعنى وحرف جر "مِنْ" قبله صلة.

وهذا الإعراب للقرائتين بإهمال "لا" الزائدة ذُكر في كثير من التفاسير إلا باختلاف المعطوف إليه في وجه الخفض فبعضهم جعلوا معطوفا إليه "المثقال" وبعضهم جعلوا "الذرة". كما قال الزجاج:

"فالفتح على. . ما يعزب عن ربك من مثقال ذَرة ولا مِثْقَالٍ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ ولا أكبرَ، والموضع موضع جر إلا أنه فتح لأنه لا يصرف. ومن رفع فالمعنى: ما يَعْزُبُ عن ربك مثقالُ ذرَّةٍ ولا أَصْغَرُ من ذلك ولا أكبَرُ إلا في كِتَابٍ مُبين".[93]

وجاء الزمخشري بوجه آخر في قراءة النصب وعدّ الـ"لا" لا العاملة، كما جعل الرفع على وجه الابتداء بإبطال عمل "لا" حيث يقول:

"**وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ**" القراءة بالنصب والرفع، والوجه النصب على نفي الجنس، والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه".[94]

خلاصة القول:

ذكر الباني بتي في الآية قرائتين فقراءة الجمهور بالنصب. وجه الباني بتي النصب بتوجيهين:

- بإعمال"لا" وهي النافية للجنس و"أصغر" و"أكبر" اسميها، و"في كتاب" خبرها. وهذا الوجه ذكره الزمخشري في كشافه، ولا يوجد في التفاسير الأخرى، ويبدو أن هذا الوجه أوجه عند الباني بتي لما ذكره في بداية الكلام.
- بإهمال"لا" وهي زائدة لتوكيد النفي و"أصغر وأكبر" معطوفان على "مثقال" أو على"ذرة" وإنما كانا بالفتح لأنهما لا ينصرفان للوزن وللوصف.

أما قراءة الرفع وهي قراءة حمزة ويعقوب والحسن وابن أبي يحيى[95]ففيه ايضا ذكر وجهين:

- بإبطال عمل "لا" لأجل التكرير، و"**أصغر وأكبر**" مرفوعان على الابتداء و"**إلا في كتاب مبين**" خبرها.
- "أصغر وأكبر مرفوعان على الفاعلية لأجل العطف على "مثقال" المجرد من "منْ"الجارة. والاستثناء حينئذ منقطع لكي يستقيم المعنى.

يلاحظ من توجيهات الباني بتي ومن ملاحظات المفسرين أنه جمع الآراء المتناثرة في كتب التفسير ووضح النكات الغامضة واهتم حروف المعاني من حيث الإعمال والإهمال وعلّلها وبيّن مدى تأثيرها في تركيب الكلام .

سادسا:"لكِن":

حرف تفيد معنى الاستدراك تخفيفا وتشديدا، كما قال ابن أبي الربيع:

"ومعنى لكن في جميع مواضعها، الاستدراك".[96] فبالتخفيف لها حالتان:

1- تكون حرف عطف، ولها شروط: الأول: أن يكون المعطوف بها مفردا، أي لا يكون جملة أو شبه جملة. والثاني: ألا تسبقها واو، لأن الواو حرف عطف ولا يجتمع العاطفان[97]. والثالث: سبقتها نفي أو نهي.

قال مؤلف معجم حروف المعاني:" وبهذه الشروط لم ترد (لكن) عاطفة في القرآن الكريم، وإنما جاءت فيه استدراكية ابتدائية توكيدية غير عاملة."[98]

2- تكون حرف ابتداء، وشروطها تنافي شروط "لكن" العاطفة وهي:الأول: أن يكون المعطوف بها جملة. والثاني: أن تقترن بالواو. والثالث: أن تسبقها كلام مثبت.

وبالتشديد تكون حرفا من حروف المشبهة بالفعل وتعمل في الجملة الاسمية فتنصب الاسم وترفع الخبر مع تضمنها معنى التوكيد.[99]

"وقال الزمخشري: لكن للاستدراك، توسطها بين كلامين متغايرين، نفياً وإيجاباً. فتستدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي. وذلك قولك: ما جاءني زيد لكن عمراً جاءني، وجاءني زيد لكن عمراً لم يجئ. والتغاير في المعنى بمنزلته في اللفظ كقولك: فارقني زيد لكن عمراً حاضر، وجاءني زيد لكن عمراً غائب".[100]

ذكر الباني بتي أربعة مواضع في تفسيره قرئ فيها "لكن" بالتشديد والتخفيف وعدّ "لكن" المشددة عاملة حيث تنصب الاسم يليها، وعدّ المخففة غير عاملة، وهذا التخفيف والتشديد لا يؤثر في المعنى لأن "لكن" في كلتي الحالتين تتضمن معنى التوكيد والاستدراك.

سابعا:"لَمَّا":

الحرف "لمّا" تختلف وظائفها النحوية حسب اختلاف العناصر اللغوية التي تدخل عليها، فتكون الظرفية والجازمة واستثنائية. قال الهروي: "تكون بمعنى "لَمْ" وبمعنى "إلا" وبمعنى "حين".[101]

وقال سيبويه: "أعجب الكلمات كلمة "لمّا" إن دخلت على الماضي تكون ظرفا، وإن دخلت على المضارع تكون حرفا، وإن دخلت لا على المضارع ولا على الماضي تكون بمنى "إلا".[102]

"وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ."[103]

لَمَّا قرأعاصم وابن عامر وحمزة ..... بتشديد الميم- والباقون بتخفيفها- فمن قرأها بالتخفيف فللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس- وما مزيدة بينهما للفصل- وقيل ما بمعنى من كما فى قوله تعالى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ اى من طاب لكم- والمعنى والله لَيُوَفِّيَنَّهُمْ أو والله لمن ليوفينهم رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ اى جزاء أعمالهم- ومن قرأها بالتشديد فأصله لمِنْ ما- فقلبت النون ميما للإدغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولا عنها- والمعنى لمن ليوفيهم وما مزيدة- وقيل إنه من لمت لمّا اى جمعته- ثم وقف على الالف عوض التنوين فصار لمّا- ثم أجرى الوصل مجرى الوقف- وجاز أن يكون مثل الدعوى والبشرى وغيرها من المصادر الّتي فيها الف التأنيث- وقرأ الزهري وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا بالتنوين وهو يؤيد هذا القول- والمعنى وإنَّ كلا جميعا- وقال صاحب الإيجاز "لمّا" فيه معنى الظرف وفى الكلام اختصار تقديره "وإنَّ كلًّا لمّا بعثوا ليوفينهم".[104]

هكذا ذكر الزمخشري تقدير "لما" المخففة، أما "لمّا" المشددة ذكر لها وجهان: بمعنى "إلّا" الاستثنائية في قراءة أبيّ الذي قرأ "إنْ" مخففة مهملة ثم فسر قراءته بقراءة عبدالله وكلتا القرائتين شاذّين. وبمعنى المصدر من فعل"لمت" في قراءة الزهري يقول:

"وإنَّ جميع المختلفين فيه **لَيُوَفِّيَنَّهُمْ** جواب قسم محذوف. واللام في لَمَّا موطئة للقسم، و "ما" مزيدة.[105] والمعنى (وإن جميعهم والله ليوفينهم رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ من حسن وقبيح وإيمان وجحود).

وقرأ أبيّ: "وإنْ كلٌّ لمّا ليوفينهم"، على أنّ إن نافية. ولما بمعنى إلا. وقراءة عبد الله مفسرة لها "وإن كل إلا ليوفينهم".

وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم: وإن كلا لما ليوفينهم، بالتنوين، كقوله أَكْلًا لَمًّا والمعنى: وإن كلا ملمومين، بمعنى مجموعين، كأنه قيل: وإنّ كلا جميعاً، كقوله: **"فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ."**[106]

وابن عجيبة في قراءة تخفيف "لما" عدّ الـ"لام" لام الابتداء–وهي مؤكدة– و"ما" موصولة، وفي قراءة "لما"بالتشديد عدّها استثنائية بمعنى"إلا" فحينئذ "إن" مخففة تعمل عمل "إنّ" تفيد النفي.[107]

هذا الوجه ردّه الطبري وقال عنه: "وليس في العربية أن ينصب ما بعد " إلا " من الفعل ، الاسم الذي قبلها. لا تقول العرب: " ما زيدًا إلا ضربت "، فيفسد ذلك إذا قرئ كذلك من هذا الوجه ، إلا أن يرفع رافع الـ"كل".[108]

خلاصة القول:

قبل تحليل هذه الآية الكريمة يجدر بالذكر قول السمين الحلبي، وهو يقول عن هذه الآية الكريمة :

"قوله تعالى:"وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ": هذه الآيةُ الكريمة مما تَكَلَّم الناسُ فيها قديماً وحديثاً، وعَسُر على أكثرِهم تلخيصُها قراءةً وتخريجاً.... فقد اضطرب الناسُ فيه اضطراباً كثيراً، حتى قال أبو شامة:"وأمَّا هذه الآيةُ فمعناها على القراءات من أشكلِ الآيات".[109]

جاء الباني بتي بالقراءات الواردة في هذه الآية الكريمة ووجهها كالآتي:

بتخفيف "لما": جاء بقراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي[110]، "وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ" بتخفيف "لما"، مكونة من الـ"لام" و"ما" فللام هذه موطئة للقسم واللام في "لَيُوَفِّيَنَّهُمْ" مؤكدة أو الأول منها مؤكدة والثانية للقسم، في هذه القراءة وجهان في "ما": **الأول**:أنها مزيدة للفصل بين اللامين. والمعنى (والله لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) **والثاني**: أنها بمعنى "مَنْ" كقوله تعالى:" فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ"فمعنى على هذا التقدير عنده وعند غيره من يقدر "ما" بمعنى "مَنْ" الموصولة: (والله لمن ليوفينهم رَبُّكَ أَعْمالَهُمْ أي جزاء أعمالهم).

بتشديد "لمّا": قرأعاصم وابن عامر وحمزة "لمّا" بتشديد الميم، ففي هذه القراءة ثلاثة أوجه:

الأول: أصل "لما" (لَمِنْ ما) فقلبت النون ميما فاجتمعت ثلاث ميمات حذفت الأولى منها، والتقدير"لَمِنْ ليوفيهم" و"ما" مزيدة.[111]

والثاني: "لما" مصدر من فعل "لممت لمّا" أي جمعت، كقوله تعالى: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا"[112]ثم وقف على الالف عوض التنوين.(يؤيد هذا القول قراءة الزهري: "وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا" بالتنوين).

والثالث: "لمّا" هنا الظرفية وفي كلام الله تعالى اختصار كأنه قيل: "وإنّ كلّا لمّا بعثوا ليوفينهم".

فيلاحظ أن "لمّا" الواردة في الآية بقراءاتها أغنى عن معانيها الثلاثة. والباني بتي منفردا في توجيه "لما" بالظرفية كما يلاحظ أن كثير من المفسرين جاؤوا بتقدير "لما" المخففة والمشددة ففي تخفيفها عدّوا لام الأولى للابتداء والثانية للقسم تفصلهما "ما" التي اعتبروها زائدة أو موصولة. وبتشديد "لما" اعتبروها مركبة من الـ"لام"الابتدائية، و"مِنْ"الجارة، و"ما" الموصولة، فقلبت النون إلى الميم للإدغام وعندما تجتمع ثلاث ميمات في كلمة واحدة، حذفت واحدة منها، والمعنى (لَمِن الذي أو لمنْ خلْقٍ أو لمن فريقٍ والله ليوفينهم ربك).[113]

النتائج:

قد توصل هذا الجهد إلى بعض النتائج المهمة وهي كالآتي:

- أورد الباني بتي في تفسيره القراءات تضم حروف المعاني وهذه الحروف هي: "إن" و"أَن" و"حتّى" و"لا" و"لكن" و"اللام" و"لما".
- تحتمل هذه الحروف أغراض نحوية متعددة وضّحها الباني بتي خلال تفسير القراءات المختلفة.
- حروف المعاني إما يليها الأسماء وإما يليها الأفعال، فالأسماء تعرب بالجر أو الرفع أو النصب لفظا أو محلا، كما تعرب الأفعال بالجزم أو الرفع أو النصب.
- في القراءات يلاحظ التغيير في هذه الحروف بطريقتين:

الأول: في الحرف ذاتها وذلك على نوعين:تغيير في الحركة نحو الكسرة إلى الفتحة كهمزة "إنّ" و"أنّ".وتغيير بزيادة حرف أونقصان نحو "إنّ" المشددة و"إنْ" المخففة.

الثاني: يحدث التغيير في معمول الحرف ويتغير إعراب الاسم أو الفعل بدخولها.

- عندما يحدث التغيير في الحروف أو في معمولها لا يؤدي إلى اختلاف المعنى في القراءات بل يؤدي إلى تثبيت المعنى وتشديده.

الهوامش

1 – مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار). المعجم الوسيط. دار الدعوة. 1 / 167

2– الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: 170هـ). كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. 3 / 210

3 – ينظر: الشريف، محمد حسن ، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م. ص: ق

4 – ينظر: عبد الغني الدقر، معجم القواعد العربية في النحو والتصريف وذُيّل بالإملاء، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى:1406هـ-1986م. 282/1

5 – ينظر: الشريف محمد حسن. ص: ق

6 – ابن جني، اللمع في العربية. 1 / 8.

7 –المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي (المتوفى: 749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م. 27/1

8 – القمر: 51،40،32،22،17،15.

9 – ينظر:المرادي، الجنى الداني. 217/1

10 – ينظر: المرادي: 220/1

11 – المائدة: 113

12 – المزمل: 20

13 – المزمل: 20

14 – سبا: 14

15 – النجم:39

16 – النور: 9

17 – يوسف: 96

18 -ينظر: المرادي: 221

19 - النساء: 176

20 - ص: 4

21 - النساء: 6

22 - المائدة: 2

23 - آل عمران: 73

24 - ينظر: الهروي، علي بن محمد النحوي (المتوفى: 415هـ)، كتاب الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملّوحي، مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة: الثانية. 1401هـ-1981م. ص: 59 – 74

25 - الشريف، معجم معاني الحروف. 363/1

26 - المرادي، الجنى الداني. 226/1

27 - الشريف. 374/1

28 - ينظر: الشريف. 374/1

29 - التوبة: 13

30 - ينظر:الهروي. ص. 45-58

31 - المرادي. 214/1

32 - المائدة:71

33 - الباني بتي.175/3

34 - أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)، مجاز القرآن، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: 1381 هـ . 1/ 174

35 - الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن

المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000. 10 / 478

36 - البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى : 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ. 3 / 82

37 – الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م. 5 / 408

38 – ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى : 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة : الثانية ، 1384هـ- 1964م. 248/6

39 – ابن هشام، الإمام أبو مُحَمَّد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (المتوفى: 761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب عُدَّةُ السالك إلى تحقيق أوضح المسالك. تأليف: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير. 288/1

40 –الرضي، محمد بن الحسن الاسترآبادي، شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر،الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر. 340/4

41 – ابن هشام، أوضح المسالك. 292/1

42 – ابن هشام،أوضح المسالك. 292/1

43–النمل:51

44 – الباني بتي:129/7

45 –الطبري، جامع البيان .19 / 480

46 –المكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي، الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة : الأولى ، 1429 هـ - 2008 م. 8 / 5448

47 – أحمد مختار عمر. 359/4

48 – الطبري. 480/19

49 – النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى،1421هـ..147/3

50 – المرادي. 546/1.

51 – ينظر: الشريف. 624/1. والهروي. ص. 214–216، والمرادي. 542/1–558.

52 – ينظر: الشريف. 624/1

53 –البقرة: 214

54 –الباني بتي. 285/1

55 – البغوي. 1 / 273

56 – الأعراف: 95

57 – ينظر: المرادي. 543/1

58 – العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي محب الدين (المتوفى: 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، المحقق : علي محمد البجاوي. 1 / 172.

59 – ينظر: الخطيب، عبد اللطيف. معجم القراءات، دار سعد الدين– دمشق، الطبعة الأولى: 1422هـ– 2002م. 295/1.

60 – ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1 / 288

61 – عند البصريين لأن "حتى" من الحروف الجارة لا تدخل على الأفعال والفعل المنصوب بعده في تأويل المصدر، ويرى الكوفيون أنها ناصبة للفعل المضارع. ومذهب البصريين أنها جارة بنفسها، ويقول الفراء أنها تخفض لنيابتها عن "إلى".(ينظر: المرادي. 542/1).

62 – ينظر: ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. 1 / 240

63 – الخطيب، عبد اللطيف. معجم القراءات، دار سعد الدين– دمشق، الطبعة الأولى: 1422هـ– 2002م. 295/1.

64 – ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. 1 / 240.

65 – الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (المتوفى: 337هـ)، اللامات، المحقق: مازن المبارك، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الثانية، 1405هـ- 1985م.

66 – ينظر: الشريف. 813

67 – ينظر: الدقر، عبد الغني ، معجم القواعد العربية في النحو والتصريف وذُيّل بالإملاء، دار القلم– دمشق، الطبعة الأولى:1406هـ–1986م. ص. 379

68 – ينظر الزجاجي: 66/1

69 – الدقر. 380

70 – الأنفال: 33.

71 – ينظر: الزجاجي. 68/1

72 – سماها البعض "لام الفصل".(ينظر: الشريف. 813)

73 – الدقر. 381. (قد مرّ تفصيل "إنْ" النافية والمخففة من المثقلة).

74 – البقرة: 143

75 – ينظر: الشريف. 813.

76 – يونس: 58

77 – ينظر: الزجاجي. 92/1

78 – القلم: 4. ينظر: الدقر.381.

79–إبراهيم:46

80 – مريم: 90،91.

81–الباني بتي.145/5

82 – ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، الحجة في القراءات السبع، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة–1401 هـ .ص. 203–204.

83 – النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: 710هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت
الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م. 2 / 179.

84– السمرقندي ، بحر العلوم 2 / 248

85 – العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم
الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. 59/5.

86 – مريم: 90،91.

87 – الهروي، علي بن محمد النحوي (المتوفى :415هـ)، كتاب الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة: 1413هـ-1993م. ص.149.

88 – المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المصري المالكي (المتوفى: 749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1992 م. 290/1.

89 – الشريف، محمد حسن، معجم حروف المعاني. 887/2

90 – يونس: 61

91 – الباني بتي. 346،345/4

92 –الفراء،أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (المتوفى: 207هـ)، معاني القرآن، المحقق: أحمد يوسف النجاتي/محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولىمعاني القرآن.1 / 470

93 – الزجاج. معاني القرآن وإعرابه.3 / 26. ينظر ايضا: المكي. 3289/5، وابن عطية. 128/3، والطبري. جامع البيان .15 / 117، والثعلبي. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. 5 / 136

[94] – الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. 2 / 355

[95] – ينظر: الثعلبي

96 – المرادي. 591/1.

97 – فحينئذ "لكن" تكون مشددة عاملة. ("واختار الكسائي، والفراء، وأبو حاتم، التشديد إذا كان قبلها الواو، لأنها حينئذ تكون عاملة عمل إن، وليست عاطفة، والتخفيف إذا لم يكن قبلها واو، لأنها حينئذ عاطفة، فلا تحتاج إلى واو كـ بل." (ينظر: المرادي.587/1)

98 – الشريف. 922.

99 – الشريف. 922، 925 ، والمرادي. 587/1-591، 615/1-620 ، والدقر. 376-377.

100 – المرادي: 616/1.

101 – الهروي، الأزهية. 197

102 – الدقر. 390

103 –هود: 111

104 – الباني بتي. 4/ 428

105 – والظاهلر أن هذا التقدير ذكر لـ"لما" المخففة، لكنه ما أشار إليه.

106 – الزمخشري. 2 / 432

107 – ينظر: ابن عجيبة. 2 / 561

108 – الطبري. 498/15

109 – 396،398/6

110 – ينظر: ابن عاشور. 174/12. ما ذكر الباني بتي أسماء القراء الذين قرؤوا "لما" بالتخفيف، بل اكتفى بكلمة "الباقون".

111 – أو موصولة بمعنى "مَنْ" بتقدير (لَمِن الذي أو لمنْ خلْقٍ أو لمن فريقٍ والله ليوفينهم ربك). ينظر: ابن عاشور. 174/12

112 – الفجر: 19

113 – ينظر: الفراء. 30/2، وأبا السعود. 4 / 244، وابن عاشور. 174/12